The Theory of Modernity Habermas

Rawan Munir Ahmad Jayousi
Academic researcher
University of Jordan/Jordan
rawanjayousi85@gmail.com

Mohammad Khair Eiadat
Prince Al Hussein bin Abdullah II School of International Studies
University of Jordan/Jordan
mkeiadat@gmail.com

Received : 04/12/2023 Accepted :17/04/2024

Abstract:

This study aims to examine the relationship between the availability of an efficient public sphere and the ability to conduct a rational public deliberation, based on communicative reason, according to the German philosopher Jürgen Habermas and its impact on the success of his incomplete project of modernity. The study will trace, through historical and analytical methods, the development of the concept of modernity, the emergence of its critics, and analyze the hypotheses presented by Habermas to ensure the success of modernity and its emancipatory project based on democracy, stemming from the realism of the ability to establish the rational principle to adopt criteria of goodness, interest, and justice. The study will also focus on measuring the effectiveness of replacing "instrumental reason" with "communicative reason," as the former has failed to address many of the political crises accompanying modernity, notably deepening legitimacy crisis and the absence of justice. The study is based on a main hypothesis that there is a reciprocal relationship between the availability of accessible public space for deliberations, as suggested by Habermas, and addressing post-modernity problems of alienation, fragmentation, and individualism to achieve democracy and solve structural problems in modern society, notably the relationship between individual and individual, individual and society, and individual and the state, through communication, dialogue, and public discussions to achieve consensus.

Keywords: Modernity, Public Sphere, Communicative Action Theory, Critical Theory, Instrumental Reason.

الحداثة عند هبرماس

روان منير أحمد جيوسي
باحثة أكاديمية
الجامعة الأردنية/الأردن
rawanjayousi85@gmail.com

محمد خير عيادات
كلية الأمير الحسين بن عبدالله الثاني للدراسات الدولية
الجامعة الأردنية/الأردن
mkeiadat@gmail.com

الاستلام : 2023/12/04 القبول : 2024/04/17

الملخص:

تبحث هذه الدراسة في العلاقة بين توفر الفضاء العام، وإجراء المداولات العامة العقلانية القائمة على العقل التواصلي، عند الفيلسوف الألماني (يورغن هبرماس)، وأثرها في إنجاح مشروع الحداثة غير المكتمل عنده. وستتّبع الدراسة عبر المنهجين التاريخي والتحليلي، تطورَ مفهوم الحداثة، وظهور مُنتقديها، وتحليل ما قدّمه هبرماس من فرضيات لإنجاح الحداثة ومشروعها التحرري القائم على الديمقراطية؛ انطلاقًا من واقعية القدرة على وضع المبدأ العقلي، لاعتماد معايير الخير والمصلحة والحق. وستقيس الدراسة أثر فاعلية الاستعاضة عن "العقل الأداتي" "بالعقل التواصلي"؛ نتيجة عجز الأول عن التعامل مع العديد من الأزمات السياسية التي رافقت الحداثة، ومن أبرزها تعمّق أزمة الشرعية وغياب العدالة، حيث تنطلق الدراسة من فرضية رئيسة مفادها أنَّ هنالك علاقة تبادلية بين توفّر الفضاء العام الميسر لإجراء المداولات عند هبرماس، ومعالجة مشكلات ما بعد الحداثة من الاغتراب والتشيُّؤ والفردانية؛ في سبيل تحقيق الديمقراطية لحلّ المشكلات البنيوية في المجتمع الحديث، ومن أبرزها العلاقة بين الفرد والفرد، والفرد والمجتمع، والفرد والدولة؛ من خلال التواصل، والحوار، والمناقشات العامة لتحقيق الإجماع.

الكلمات المفتاحية: الحداثة، الفضاء العام، نظرية الفعل التواصلي، النظرية النقدية، العقل الأداتي.

المقدمة:

اعتمدت ولد (يورغن هبرماس) عام (1929م) منحدرًا من عائلة برجوازية سياسية، وهو ينتمي للمدرسة النقدية، وقد بدأ عمله في الأبحاث والنشر في خمسينات القرن الماضي، لينشط في الفلسفة وعلم الاجتماع، وكانت أعماله الأولى ناقدةً ذات توجّه نحو الديمقراطية التداولية، عبر نظرياته: "الفعل التواصلي"، و "الفضاء العام البرجوازي"، التي قدَّم من خلالها شكلًا بنيويًّا جديدًا للحداثة؛ في محاولة نقدية لنتائج المشروع الحداثي في العصر الرأسمالي، ونقد مُنتقدي الحداثة؛ للحفاظ على أهميتها، والسعي لتصحيح مسارها بما يخدم الإنسانية.

تنطلق أفكار هبرماس من ثقافته المتنوّعة، وقراءاته وترجماته المتعددة، والبناء على النقاش الأداتي بين الحقّ الطبيعي للأفراد، والوضعية القانونية، وتطوّر المجتمع المدني، والعلاقة بين الفرد والدولة في ظلّ القانون، والسعي لتطوير العقل التواصلي كبديل عن العقل الأداتي الذي رافق الحداثة، ونتجت عنه جملةٌ من التحديات المعاصرة. فقدَّم هبرماس مفهوم "الفضاء العام"، ضمن كتابه "التحولات البنيوية للفضاء العام"، حول مشروع الحداثة في المجتمع الغربي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديّين، الذي جاء ضمن تأصيل فكري وفلسفي، يشمل مضامين سياسية واجتماعية واقتصادية في سياق تحليله لمفهوم الرأي العام، ومحاولات السلطة المستمرة لتضليله، أو السيطرة عليه وتوجيهه، وكيف ينظر لفعل التواصل كأساس للعملية الأخلاقية والقيمية، التي تعزّز الديمقراطية وتحافظ عليها، وتسمح للرأي العام الواعي بالتشكل والتفاعل والتأثير على سياسات الدولة، في ظلّ أهميّة المحافظة على الحرية الفردية، والبناء على العقل التواصلي، واستخدام الحجة والبرهان للحوار والمداولات، فيتمّ الدفاع عن الحقيقة وقيم الخير والصالح العام.

الإطار النظري:

"الحداثة مشروع لم يكتمل بعد"، هكذا عَنون يورغن هبرماس الفيلسوف الألماني النقدي محاضرته، لدى تسلُّمه جائزة (أدورنو) في العام (1960م)، وكان مدخل كتابه "**الخطاب الفلسفي للحداثة**"، ليكون هذا الطرح منطلقًا لمشاريعه البحثية المُهمّة والمتعدّدة، الذي شكَّل من خلالها ما يُعرف بنقد العقل للبنيوية جديدةِ الآفاق، التي انطلق منها لإعادة تكوين خطاب الحداثة، ومعالجة النزعة الحداثيّة في الأدب والفن، وليدافع عن قيمها مستندًا إلى عمليات الهدم والبناء للنقد والتشخيص والتحليل؛ بهدف تقديم البديل الذي يضمن نجاح مشروع الحداثة.

جاءت الحداثة السياسية ضمن مشروع تحرُّري قائم على الديمقراطية؛ من خلال وضع المبدأ العقلي لاعتماد معايير الخير والمصلحة والحقّ ضمن بُعد كوني، حيث ظهر العجز عن التعامل مع العديد من

الأزمات السياسية والمتمثلة بتحقيق مفهوم العدالة، والتمثيل، وحماية الأقليات، وتعمّق ضمن مفاهيم أزمة الشرعية، وعدم قدرة التعامل مع التعددية الفكرية والعرقية، ومراعاة التباين الثقافي والاقتصادي لتآكل مفاهيم المواطنة والولاء ضمن حالة الإتيقا العمومية، التي عبَّر عنها (هبرماس) من خلال كتابه "القانون والديمقراطية"، حيث وصف من خلالها الأزمة بين العالم الذاتي الخاص والمشاركة مع الذواتية العامة، لتفقد عمليات الدمج أمام عجزها لتحقيقه؛ ممّا أدّى لأزمة شرعية واضحة تؤثّر على النسيج المجتمعي، وتدفع الأفراد للعودة للفئوية والانقسام داخل الدائرة العمومية (Rekeh, 2019, pp. 11-12).

أوضح هبرماس أنّ الحداثة قد عجزت عن بناء تصوُّر سليم حول الحقّ، وسعى في كتابه "القانون والديمقراطية بين الوقائع والمعايير"؛ إلى تحديد مفهوم الحقّ بداية كحقّ وضعي في الدولة الديمقراطية الحديثة، ولكنّه يدّعي حمله في طياته الحقّ الطبيعي للفرد، الذي لم يتحقّق مع غياب "نظرية الفعل التواصلي"، في ظلّ الحاجة للتوسّط الاجتماعي بين ما أسماه "الواقعية والصلاحية" (Cusset, 2019, p. 103)، ليوجد نقاشًا جديدًا بين أنصار الوضعية القانونية وعقلانية الحقّ الطبيعي؛ لأن الحق ليس شرعيًّا إلا إذا كان أخلاقيًّا عبر الديمقراطية التداولية، وإيجاد مفهوم مشترك للخير؛ أي يقف بين الشكل الليبرالي والجمهوري في فهم الديمقراطية؛ عبر مأسسة التداول العمومي للمواطنين، وممارسة طبيعتهم التواصلية بحريّة (Challe, 2019, pp. 192-193).

ويسوغ القول إنّه ما دامت الحرية الذاتية هي علامة العصر الحديث، المُستندة إلى العقلانية في المصالح النابعة من الحقّ الشخصي، فهي تشكل استقلالية أخلاقية ذاتية في المجال الخاص، ومشاركة متساوية في الحقوق على مستوى الدولة، وتنعكس بالنتيجة في الرأي العام (Habermas, 2019, p. 127)، وعليه جاءت أفكار (هبرماس) ضمن النظرية النقدية لتجيب عن أسئلة مهمّة حول العقل، والدين، والعلمنة، والديمقراطية، والمشاركة السياسية، حيث قدَّم مفهوم "الفضاء العام" لسنة (1978م)، الذي وصفه بحلبة النقاش العام التي تدور فيه السجلات، وتتشكل فيها الآراء والمواقف حول القضايا التي تجسد اهتمامات الناس وهمومهم، والتي تقوم على فكرة المراقبة، والنقد، والرصد، والتحليل، والمشاركة الفاعلة، بالإضافة إلى النقاش حول كيفية تطور الرأي العام، ودور الدعاية والمال السياسي في التأثير عليه عبر الوسائط المختلفة، التي يشكل الإعلام جزءًا منها، وتتطرق هبرماس أيضًا لتحليل العلاقة بين الحداثة والنظام الرأسمالي، وكيفية تكوين الإرادة الديمقراطية، عبر ما يتناسب مع صنَّاع القرار، ومَن يملك التأثير على الرأي العام، التي أدت بشكلٍ ما إلى ما أسماه بإفراغ الوعي الفردي والجماعي، ليسجل دعوة للحوار والنقاش المفتوح، وتعزيز النقد والتفكير، وخطاب العقل في المجتمع (Giddens, 2005, pp. 510-511).

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من حيث توقيتها لمناقشة تحديات الحداثة، ومحاولة فهم الدور الفلسفي وأهميته في العالم الحديث، وأثره على عملية صنع القرار السياسي، لتحاول الإجابة عن إمكانية تحقيق المشروع الحداثي في ظلّ ما يشهده العالم من حروب ونزاعات، جاءت بنتيجة مغايرة لمشروع كانط حول السلام العالمي، ومحاولات هبرماس لتقديم طرح يعتمد على الحوار العام؛ لحماية إرث الحداثة وتصويب مسارها.

الأهمية العلمية:

تبرز الأهمية العلمية للدراسة فيما قد تُضيفه من مساهمة في مجال الفكر السياسي، في ظلّ محدودية ما تُرجم وحُلّل وطُوّر حول (هبرماس)، وما قدَّمه من إضافات بحثية وأكاديمية وجدلية مُهمّة في حقل الفلسفة، والاجتماع، والفكر السياسي.

الأهمية العملية:

تنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية استمرار البحث في مجال الفكر السياسي عبر الفلسفة؛ للوصول إلى مجتمعات أخلاقية تحقّق الرفاه الإنساني، وتضمن الاستقرار الدولي، وتقوم على التعاون والتشاركية والعالمية، في ظلّ وجود العديد من التيارات الفكرية النقدية التي دعت الحداثة لنقدها، لكن دون القدرة على إنتاج نظريات مُهيمنة كالماركسية والليبرالية.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تسعى هذه الدراسة لتحديد مفهوم الحداثة فلسفيًّا في الفكر الغربي، والوقوف على أهم محطات ما بعد الحداثة والنقد الموجَّه لها، ومحاولات الفلاسفة في العصر الحديث لتصويب مسارها، وإيجاد تفسيرات للنتائج المُغايرة لنشأتها. ففي ظلّ ما يشهده العالم الغربي اليوم في إطار الفكر الرأسمالي، أصبحت الأسئلة حول تنشئة الفرد، والحرية الذاتية، والعلاقة بين الفرد والمجتمع بعيدًا عن النفعية سؤالًا يحاصر الفكر الليبرالي، وأفكار الحداثة؛ نتيجة شعور الفرد بالاغتراب، واستمرار الاستعمار بالعالم، والطبقية، وتراجع القيم الأخلاقية والمصلحة العامة، عبر الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما مفهوم الحداثة والعقل الأنواري وعلاقته بالعقلانية؟
- ما أبرز الانتقادات الموجهة للحداثة: (نقد الحداثة وما بعد الحداثة)؟
- ما فرص تحقيق الحداثة كما يراها هبرماس وفقًا لنظرياته حول الفعل التواصلي والفضاء العام؟
- هل يمكن تصويب مسار الحداثة؟ وتعزيز قدرتها على إعادة بناء ذاتها؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة للتعرُّف إلى مشروع الحداثة، وتحديات نجاحها، وأسباب ظهور فكر ما بعد الحداثة؛ من خلال استقراء أسس العقل الأنواري، والبحث في التحولات التي رافقت الفكر التنويري، وآثار الحداثة على تشكل المجتمعات الغربية من خلال:

- تحديد مفهوم الحداثة وجدل التنوير والعقلانية.
- تحديد أبرز الانتقادات التي وجهت للحداثة (ما بعد الحداثة).
- التعرُّف إلى مفهوم الحداثة عند (هبرماس)، وعلاقته بالجانب الفلسفي، وانعكاسه على التطبيق السياسي الفعلي.
- تحديد فرص تحقيق الحداثة كما يراها (هبرماس)، وفقًا لنظرياته حول الفعل التواصلي والفضاء العام، والتعرُّف إلى العلاقة بينها.

منهجية الدراسة:

المنهج التاريخي: ستعتمد الدراسة المنهج التاريخي في التحليل؛ لتتبع تطور المجتمع في مرحلة الحداثة وما بعدها، وتأثير الفكر الفلسفي على توجهات المفكرين، مثل: رواد المدرسة النقدية (هيغل) و(كانط)، ومُنظري عصر الأنوار، و(هبرماس)، ومُنظري ما بعد الحداثة، وتطور النظرية السياسية.

المنهج التحليلي: ستعتمد الدراسة على المنهج التحليلي؛ لاستعراض العلاقات المباشرة ما بين الحداثة وما بعد الحداثة، وأثر وجود نظريات جديدة تخدم العملية السياسية، وتحديد عناصرها، ودراسة العلاقات بينها؛ عبر تحليل النظرية النقدية للحداثة ومُنظريها، وما قدّمه (هبرماس) من نقد العقل الأداتي، وتوجيهه نحو العقل التواصلي.

فرضية الدراسة:

تنطلق الدراسة من فرضية رئيسة مفادها أنَّ هنالك علاقة تبادلية بين توفر الفضاء العام الميسر لإجراء المداولات عند (هبرماس)، ومشروع الحداثة غير المكتمل بالنسبة له، وتنطلق من هذه الفرضية مجموعة فرضيات فرعية، هي:

- هنالك علاقة طردية بين توفُّر الفضاء العام الحرّ، وإنجاح مشروع الحداثة.
- هنالك علاقة تبادلية بين إنجاح المداولات، وتحقيق الديمقراطية التبادلية كأساس للمجتمع الحداثي.
- هنالك علاقة تبادلية بين أهمية توجيه النقد للحداثة، وقدرتها عبر نقدها الذاتي لإنجاح مشروعها التنويري.

الدراسات السابقة:

دراسة جمال (2016–2017) بعنوان: إشكالية الحداثة والفعل الفلسفي في الفكر الغربي المعاصر– يورغن هبرماس نموذجًا، حيث قدَّم البحث عرضًا لفلسفة هبرماس حول الحداثة والتواصل، وتأسيس نظريته التواصلية سياسيًا وسيسيولوجيًا وأخلاقيًّا، مُعتبرًا أنّ الحداثة نقدٌ للعقل، حيث استطاع هبرماس أن يمتلك قدرة استشرافية مختلفة ومتقدمة، تعمل على تقديم مقاربات مُهمّة حول مفاهيم إعادة البناء، وتحديد آليات التكيف المطلوبة اجتماعيًّا وسياسيًّا؛ لإرساء مفاهيم يتمّ من خلالها تجاوز فكر ما بعد الحداثة. حيث عمل على دمج نظرية الفعل والنسق في نظرية واحدة؛ بهدف علاج ما تواجهه الحداثة من أزمات، عبر تشخيصها والتعامل مع أزمة مركزية الإنسان، التي تظهر بالفردية والطبقية والقومية، وما نتج عنها من أنظمة ديكتاتورية.

دراسة أحمد (2010–2011) بعنوان: تجديد العقل الأنواري عند يورغن هبرماس: قراءة نقدية الأيدولوجيا الليبرالية المعاصرة، التي ناقشت مفهوم التوتر بين النظرية والواقع، والتأكيد على قيمة مشروع الحداثة؛ في محاولة للتخفيف من الضبابية حول مفهوم الحداثة، ومعالجة ما واجهه هذا المشروع من انتكاسة عبر ما يُعرف بـ "جدل التنوير"، حيث يُعيد (هبرماس) الوعي بالحداثة إلى عصر الأنوار عند (هيغل). وركَّزت الدراسة على أهمية مشروع هبرماس في فتح المجال العام للنقاش والتداول، ليتوافق مع (كانط) في أهمية محاكمة العقل ودوره، مُستعرضًا الخطاب الفلسفي للحداثة عند (هبرماس)، ونظرية الفعل التواصلي، حيث استطاع (هبرماس) فتح باب النقد والجدل والتفكير مجددًا؛ في محاولة جعل الخطاب الفلسفي قادرًا على التعامل مع الواقع الحالي.

دراسة العلوي (2015) بعنوان: الفضاء العمومي من هبرماس إلى نانسي فريزر، حيث ترتكز هذه الدراسة على رؤية استقرائية نقدية لمفهوم العمومية والفضاء العمومي البورجوازي، كما فهمه (هبرماس)، وكما انتقدته (نانسي فريزر)، من خلال رصد جملة من الإشكالات والمآزق التي تحومُ حول مفهوم الفضاء العمومي بوصفه إشكالية الدولة والمدنية، وإشكالية الحق والمجتمع المدني والديمقراطية. ومن البيّنِ أن نظريةَ هبرماس للعمومية، إنّما مردها إلى خلفية فلسفية هائلة تتمثل في (كانط) و(هيجل) و(ماركس)، بل إنّ الأمر يمتد إلى تأسيس رؤية اجتماعية مدعمة من مدرسة فرانكفورت، أو النظرية النقدية التي اختارت لنفسها مسار التحليل السوسيولوجي النقدي متعدد المشارب للواقع المتحوّل والمتغير سياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا، حيث اندفع (هبرماس) الى استثمارِ مفهوم الاستعمال العام للعقل، كما ورد عند (كانط) في الجدل الرهيب بينه وبين (كارل آتو آبل، وهايدجر)؛ بُغيةَ رسم بُعدٍ بورجوازي ليبراليٍ للفضاء العمومي على المستوى الأنطولوجي والسياسي والإيتقي والفكري، والتدليل على أنّ هذه الرؤية هي التي استطاعت أن تفسح المجال أمام حرية الأفراد والجماعات، للإدلاء برأيها على أساس أنَّ الفضاء العام يتيح فرصة بنائه بناءً نقديًّا تشاركيًّا تشاوريًّا.

وعليه ستسعى الدراسة الحاليّة لتحديد دور المداولات والحوار عبر الفضاء العام، من خلال الفعل التواصلي نحو تحقيق الديمقراطية

التداولية الممثلة للحداثة؛ من خلال العدالة بالتمثيل، وضمان الحرية، وقدرة الأفراد على استخدام اللغة في المداولات للتعبير عن الذات.

مصطلحات الدراسة:

الحداثة (Modernity): هي موقف عقلي تجاه قضية ما، وتدلّ على المنهجية العقلية التي استُخدمت للوصول للمعرفة أو لحلّ مسألة ما، وهي تختلف عن التحديث (Modernization) وهي استخدام التقنية الحديثة وتوظيفها في الحياة الاجتماعية، وهنا يمكن الفصل بينهما بوجود مجتمعات تتقدم تقنيًّا، ولكن جوهر الحداثة المرتبط بالعقل والتفكير لم يرافق هذا التطور التقني (Watfa, 2001, p. 98).

وقد جاءت صفة "الحديث" في القرن الخامس الميلادي، حيث استُعملت ضمن صراع القدماء والمحدثين في التاريخ الثقافي الروماني، الذي تمثّل في صورة صراع بين الماضي الوثني والحاضر الديني المسيحي، وقد عاد المصطلح وأخذ معناه ودلالته في القرن التاسع عشر، فلفظ "الحداثة" ارتبط بأعمال الشاعر الفرنسي (شارل بودلير)، وكان أول من استعملها الكاتب البريطاني هوراس والبول (Horace Walpole) في القرن الثامن عشر، كما ظهرت عند الكاتب الفرنسي (بلزاك) سنة (1823م)، ثمّ استخدمها (بودلير) في مقالته عن قسطنطين جوين، وارتبطت بالحضارة الأوروبية بعصر النهضة والأنوار (Baghoura, 2009, pp. 40-42).

الفضاء العام: يُشكل مفهوم الفضاء العمومي في نظر هبرماس مقولة تاريخية، فهو يرتبط بمرحلة تاريخية معينة تمثّلت في ظهور البرجوازية، ابتداء من منتصف القرن السابع عشر الميلادي، ولا يعني هذا أنّ المفهوم لم يكن حاضرًا قبل هذه الفترة، ولكن الدلالة السياسية التي اتّخذها المفهوم كمجال للممارسة السياسية العقلانية، برزت مع صعود الطبقة البرجوازية، وسيطرتها على المجال العام، وتوجيهها للرأي العام، لذلك اتَّجه (هبرماس) في كتابه حول الفضاء العمومي إلى البحث في "معالجة بنية ووظيفة النموذج الليبرالي للفضاء العمومي البرجوازي (Habermas, 1978, p. 10).

المبحث الأول: الحداثة وجدل التنوير

ماهيّة الحداثة:

ينظر للحداثة بأنّها "حركة تجريدية في حقول الإنتاج والأفكار وأنماط الحياة والحكم والفن، وخروجها على جمود سنوات العصور الوسطى الطويلة، وعليه فهي تلحق عمومًا الحقبة التي تلت الخروج من العصر الوسيط؛ أي منذ القرن السادس عشر" (Harvey, 2005, p. 418)، حيث أنجزت بين القديم والحديث كما وصفها (بودلير)، "إذ إنَّ الحديث ينغمس في زمانه الذاتي تمامًا، وكمال الحدوث يجعله جديرًا بأن يكون شيئًا قديمًا، وهذا يعني أنّ الحداثة سيرورة تهتم باللحظة الراهنة" (Bishara, 1996, p. 33)، ويراها نصف الفن، وتعبّر عن التجربة الجمالية الإنسانية، فالحداثة ناتجة عن الذاتية المنزاحة عن مركزها نحو الحياة اليومية (Habermas, 2019, pp. 17-18).

يُعدُّ (هيغل) أول فيلسوف قام بتقديم تعريف محدَّد ذي دلالي للحداثة ضمن سياقها التاريخي، وما عرّفه بعصر "الأزمنة الجديدة"، أو "الأزمنة الحديثة"، بحيث يكون كلّ ما حصل في القرن الخامس عشر عتبة تاريخية بين العصور الوسطى والأزمنة الحديثة، فيعرفها زمنيًا بالنسبة للتاريخ الغربي، وتحديدًا عبر التاريخ الثقافي وتطوره، وحركة الإصلاح والنهضة في أوروبا، فيرى أنّ الحداثة قد بدأت في عصر الأنوار، فهي تعرف بالعقل والعلم واليقين، وتستبعِد اللامعقول، وتمتاز بالذاتية واستقلال الفرد (Habermas, 2019, p. 12).

ويعرَّف (آلان تورين) الحداثة بأنّها "انتشار لمنتجات النشاط العقلي والعلمي والتكنولوجي والإداري، وتتضمن عملية التمييز المتنامي للعديد من القطاعات الحياتية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتضمّ العائلة والفن والدين أيضًا، وتستبعِد تنظيم المجتمعات داخليًا من قِبَل أيّ أنشطة خارجية لها، وتتحقّق عبر اندماج الجميع في رؤية عامة"، ففكرة الحداثة لا تستتبع فكرة نهاية التاريخ، بل هي نهاية مرحلة ما قبل التاريخ كما يراها (كانط، وهيغل، وماركس)، وهي عقلانية كما يصفها (ماكس فيبر)، الذي نظر إليها ضمن المشروع الرأسمالي والجهاز البيروقراطي، وهي كليّة بالنسبة لـ (لويس دومون)، وتقوم على فكرة العلم، وتنجح في حالة القدرة للانتقال من محدودية فكرة العقلنة الفردية، إلى فكرة المجتمع العقلاني (Touraine, 1997 pp. 29-30).

الحداثة والعقلانية:

الأيدولوجيا الحداثية هي آخر صورة للاعتقاد في وحدة الإنسان بالطبيعة، فهي انتصار العقل في بحثه عن الوجود، بشكل تصبح فيه الإرادة الميتافيزقية حنينًا وتمردًا، وينفصل عبرها الإنسان الداخلي أكثر فأكثر عن الخارج بعد قرن من التنوير، فالحداثة بالمفهوم الاستناري ليست فلسفة للتقدّم فقط، بل هي قطيعة مع التراث، وتقوم على العلمنة (Touraine, 1997, p. 29). فحركة الأنوار الفرنسية ركزت على العالم الموضوعي، ولكن مع (هيغل) تحول الدين إلى فكر، وتحول الفكر إلى وجود واعتبره فلسفة، وهذا جانب مُهمّ يساهم في الكشف لاحقًا عن أسباب نقد الحداثة وإشكالياتها كما يفسرها (هبرماس) (Hanafi, 1990, p. 145).

انطلقت الحداثة كأيدولوجيا غربية لا تخضع للسحر، أو الإذعان، أو الغيبيات، أو الخرافة، واستندت للعقل، فلا يخضع الإنسان إلا لقوانين طبيعية كما جاءت في فلسفة التنوير لدى (جان جاك روسو)، فهي السعي نحو الحرية والإخاء والمساواة، والوقوف ضد العقبات التي تحول دون المعرفة، ومواجهة الاستبداد؛ للوصول إلى سلطة عقلانية وجمعيّة تبشّر بالعقد الاجتماعي (Hanafi, 1990, p. 32).

ويؤكد (ماكس فيبر) على عقلانيتها التي انعكست على الحضارة الغربية، وما جرى فيها من تحولات بنيوية عبر الرأسمالية والتحديث

الاقتصادي، من خلال التنظيم العقلاني الرأسمالي للعمل الحر والبيروقراطية، كما يشير في كتابه "الاقتصاد والمجتمع"، حيث جاءت كما حدَّدها كإطار للمجتمع الحداثي الذي يرتسم داخله سلوك الفرد، ويشكل جزءًا من ثقافته وتكوينه (Weber, 2015, p. 234).

وبحسب (أرسطو)، فإنَّ الفلسفة تدرس المبادئ العامة، أمَّا التاريخ فيدرس الأحداث الفردية (لا علمَ إلا بالكلي، ولا وجودَ إلا للجزئي)، حيث هيمنت أفكاره على الفلسفة الغربية حتى منتصف القرن الثامن عشر، مع دخول العقل وأخلاقياته ومسؤوليته في تفصيل الواقع وفهمه، حيث آمن (كانط) بقدرة الفرد وقوة العقل، تلاه (هيغل) عند مقاربة الفلسفة بالتاريخ، حيث ينمو العقل للفرد ضمن وجوده بالجماعة متأثرًا بتاريخها مستقرئًا له (Borradori, 2013, pp. 32-34)، ومؤكدًا أنّه ليس من واجب الفلسفة أن تقوِّم العالم، ولا أن تحدَّد كيف يجب أن يكون، وبما أنّ الروح لدى هيغل قد وسمت الحداثة بالانتفاضة، إذًا فلا يوجد فيلسوف أوّل ينتمي للحداثة، بل هو كلّ مَن صارت لديه مشكلة متعلقة بالزمن والوعي والعقلانية ليتجه نحو تلطيف العقل، والتعامل مع دينامية الحياة والحداثة المجتمعية؛ من خلال النقد، وكشف القناع عن الذاتية المحدودة، وانغلاق الوعي كما وصفها (هيغل) في كتابه "مبادئ فلسفة الحق" (Habermas, 2019, p. 178).

يطلق مصطلح الحداثة على مسيرة المجتماعات الغربية منذ عصر النهضة إلى يومنا الحالي، وتغطي مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأدبية بحسب (آلان تورين) في كتابه "نقد الحداثة"، "فالحداثة هي حركة تجديد في حقول الإنتاج، والأفكار، وأنماط الحياة، والحكم، والفن، خرجت عن جمود سنوات العصور الوسطى الطويلة، وعليه فهي تلحق عمومًا الحقبة التي تلت الخروج من العصر الوسيط؛ أي منذ القرن السادس عشر، إلا أنّه وبمعايير أكثر دقة، هنالك من يؤرّخ للحداثة بين النصف الثاني من القرن الثامن عشر، والنصف الثاني من القرن العشرين"، حيث ارتبطت نشأة الحداثة بسؤال (كانط) حول ما هي الأنوار؟

الحداثة وفلسفة التنوير (هيغل وكانط):

وصف (كانط) التنوير بأنّه خروج الإنسان من حالة القصور التي وضع نفسه بها دون امتلاك فهمه الشخصي، والتخلص من حالة الانقياد (Borradori, 2003, p. 49)، ويمكن قياس ذلك على علاقة الفرد بالسلطة والتاريخ، ليصار إلى فهم وجود عصر التنوير؛ أي بمعنى السعي نحو تعزيز قدرة الفرد على الاستقلال، أي تحقيق الحداثة بشكل فعلي، وهذا ما دافع عنه (هبرماس) عندما أكد على أنّ الحداثة مشروع لم يكتمل بعد، حيث لن تطبّق المفاهيم الكونية بواقعية وشمولية، قبل وجود فرد حرّ يتمتع بالمساواة، عبر سلوك أخلاقي ممارَس ينطوي على الاعتراف بالآخر، تتكون من خلاله مشاعر الاحترام والتقدير والتقبّل تجاهه، عبر رفض التمييز، وضمان حماية الحريات الفردية (Borradori, 2003, p. 91).

نقدَ (كانط) الفلسفة التجريبية لـ (هيوم) مؤكدًا أنّ النقد هو شعار فلسفة التنوير، وأنّ الذات المدركة لم تعد أمرًا نفسيًّا يحمل بُعدًا ميتافيزقيًّا، بل هي الوعي بالذات والحرية (Ghaly, 1997, p. 50)، ويرتبط عصر الأنوار بحسب (هيغل) في أفكار (كانط)، عندما حلَّ الفهم والتأمُّل مكان العقل الصنم، ودافع (هيغل) عن حركات العصر المؤيّدة للحريّة، متأثرين بالفلسفة الكانتية للدين، والأخلاق، والثورة الفرنسية، ونظريات العقد الاجتماعي، مناقشًا فكرة الوضعية التي تحاول في حالة الشدّة وضع الإنسان كموضوع فيستعبد تارة، وإمّا يضطر لتحويل الطبيعة لموضوع فتستبعد، وهذا هو الطابع القمعي للعقل من خلال بنية الإرجاع الذاتي على اعتبار نفسها موضوعًا، حيث توصَّل (هيغل) إلى تصور العقل التوفيقي، وليميّز بين الأخلاق والأخلاقيات المجتمعية، لتتحقق الذات دون إلحاق الضرر بالمجتمع (Habermas, 2019, pp. 163-166).

انطلق نقد (هيغل) للتنوير من فينومينولوجيا الروح وآثار الجدل، وجاء (ماكس فيبر) ليحاول فهم الحضارة الغربية بوصفها عملية عقلنة، ووصفها الناقد (ولودفيغ كلاغز) بالسيطرة الحديثة، وأنّها إعادة حالة العالم، وإيجاد علاقة متناظرة، أو متجانسة، أو عدائية بين الطبيعة والبشرية (Wegershaus, 2022, p. 457). وعليه آمن (هوركايمر وأداورنو) بربط هذين الموضوعين في محاولة لفهم ما وصفوه بعواقب كوارثية للشكل الفاشي، الذي انتهت به الرأسمالية، علَّهم يجدون عبر"نقد فلسفة التاريخ" تفسيرًا آخرَ لما استند إليه ماركس، حيث جاء التنوير بمعنى متقدّم يسعى لتحرير الإنسان من الخوف، وليس لينتهي بما انتهت إليه الأسطورة، وليكون مدّمرًا لذاته (Wegershaus, 2022, p. 458).

يشكل الجدل عند (هيغل) نسيج الواقع نفسه عبر تطوُّر ثنائية الوجود والفكر معًا، وهي أعلى من طموح العقل العام، بل سعيه نحو التعرُّف إلى ذاته والارتقاء به، وربط ذلك مع النظام الكلي للطبيعة والحياة والروح، حيث يسعى العقل للوصول للحقيقة المطلقة، وتسعى الروح للحرية، وهنا تظهر أهمية الفلسفة في عقلنة الدولة كما يراها (هيغل (Ghaly, 1997, p. 367)).

وفي ظلّ تطور العلوم في المجتمع الحديث، وصف (هيغل) حركة السوق بأنّها حيادية أخلاقيًّا، ومهووسة بالأنانية ضمن "المجتمع البرجوازي"، فيما يُعرف بـ "فلسفة الحق"، فأصبح تحرير الفرد وصولًا للحرية شكليًّا، في ظلّ الحاجة للنظر إلى الحاجات الطبيعية بهدف تحليل نظام الملكية والحق (Ghaly, 1997, pp. 60-61)، فقد أصبح السوق يحمل تعريفًا سلبيًّا للحداثة عبر سيطرة النظام الرأسمالي، لتصبح شخصية الرأسمالي النمط الاجتماعي والثقافي بحسب (ماكس

فيبر) في كتابه "الأخلاق البروتستنية وروح الرأسمالية"، فيقع العالم بأزمة المجتمع الحديث المنغلق على العقلانية الأداتية.

الديمقراطية تعبيرٌ عن الحداثة:

في ظلّ تطوُّر المجتمع الديمقراطي وشكل الحياة السياسية كتعبير عن الحداثة، ظهرت نظريات عديدة سعت لإنجاحها وضمان فاعليتها، منها مثلًا نظرية (جون رولز) في كتابه "الليبرالية السياسية" حول العدالة، التي اعتبرها أساس الديمقراطية الدستورية في العالم الحديث، فهي مرتبطة بمفهوم الإنصاف، وتتمّ عبر توفير أساس فلسفي أخلاقي مقبول للمؤسسات الديمقراطية، بشروط منصفة للتعاون بين المواطنين الأحرار، حيث تعرَّف العدالة بالعقلانية الأداتية التي تتوسطها المصالح الاجتماعية كبديل فاعل للمذهب المنفعي.

وحول الديمقراطية كأهم وجه يحدِّد معالم المجتمع الحديث سياسيًّا، فقد رأى (هبرماس) أهميّة الفلسفة في الوقت الراهن، كفاعل مؤثر بما يُعرف لديه بالفضاء العمومي لحسِّها النقدي، فعلى الرغم من أنّ الديمقراطية والفلسفة لا تملكان الأصل التاريخي ذاته، ولكلّ بنيتها وتركيبها، لكنّ التأثير العمومي للفكر الفلسفي يحتاج الحماية المؤسساتية، والنقاش الديمقراطي، وحماية الرأي والتعبير، وحقوق الإنسان، وهنا يظهر جوهر العلاقة المرتبطة بين الاستثمار في الفلسفة، والحاجة للفضاء العام للحوار، وكذلك الحاجة للديمقراطية لتوفير مناخ حرّ لتبادل الأفكار، وإجراء المداولات والنقاشات العامة في المجتمع الحداثي (Al-Ashhab, 2007, p. 12).

المبحث الثاني: نقد الحداثة

ماهيّة ما بعد الحداثة:

تشكل الحداثة زمن تحقّق الذاتية، وحرية الفرد، والتحرُّر، والعقلانية بالنسبة للعديد من فلاسفتها ومؤيّديها، ولكن ذلك لم يحظَ بالإجماع بسبب ما رافق مشروع الحداثة من انحرافات وتشوُّهات؛ ممَّا دفع العديد من المفكرين والفلاسفة للنظر لها بتشاؤمية، وتحميل الحداثة مسؤولية ما عرف بأفكار "موت الإنسان"، و"نهاية التاريخ"، و"تحطيم العقل"، ومنهم مَن ركّز في هجومه على فكر "ما بعد الحداثة" على قيم الحداثة الغربية، ومن أهمّهم (إليه ليوتار) في قوله: "إن مشروع الحداثة قد سقط نهائيًّا بعد أن وصل إلى نهايته، وأخفقت الحداثة في تحقيق وعودها، ووعود عصر التنوير والعقلانية الغربية، بتحقيق التطابق والتكامل بين العقل والعالم" (Atiyah, 2010, p. 134).

يُعدّ تاريخ الحداثة هو تاريخ القطيعة البطيئة والحتمية بين الفرد والمجتمع والطبيعة، فقد انتصرت الأوغسطينية على التوماوية والمسيحية، ودعمت انتصار الذات، فقد رأى (هوركايمر) مثل (ماركس) قدرة العمل والإنتاج على الرأسمالية من خلال العقل، فوصف أنّ العقل يحقق التحرُّر، ولكنّه يدمّر ذاته لاحقًا عبر تحوّله لتابع للتقنية، وبالتالي تتحطم الذاتية عند سيطرة العقل الأداتي (Touraine, 1997, pp. 209-211).

جاء فكر (جان جاك روسو) ليحمل نقد الحداثة في ذاتها، ففي مقاله الثاني لأكاديمية ديجون (1749م)، تطرَّق (روسو) لفكرة مصاحبة انحطاط الأخلاق مقابل تقدُّم العلوم والفن، ليصف عدم المساواة في المجتمع الحديث بأكبر خطر على الحداثة، من خلال تكوين نظام سياسي معارض للمجتمع المدني، فتظهر هنا نزعة روسو الثورية والجماعيّة في العداء للحداثة، وتظهر الحاجة للتماهي ما بين المجتمع المدني والرأسمالية، وانتصار المصالح الخاصة والأنانية، وتحقيق الاندماج القومي كمبادئ رئيسة لليسار الفرنسي، فيفضل فكرة الدولية القومية على فكرة المجتمع، والذي بلغ أوجه في التحليل الهيجلي للدولة كمجتمع، فبحسب (روسو) "نحن لا نبدأ حقًا في أن نصير بشرًا، إلا بعد أن نكون مواطنين"؛ أي قدرة السلطة السياسية الجديدة على خلق إنسان جديد، نحو حداثة تحقق الإرادة الجماعيّة، وتكافح ضدّ عدم المساواة، ليتشكل تحالف الإنسان مع الطبيعة، رغم إدراكه لصعوبة أن تحافظ الإرادة العامة على النقاء (Touraine, 2022, p. 42). فقد رفض النظام القديم على الرغم من تمسكه بأهميّة وجود السلطة، وحاول وضع أساس لنظام عادل وعملي وكلي ومستقرّ وسعيد، فالإنسان عنده خيِّرٌ بطبعه، ولا يصبح سيّئًا إلا عبر المؤسسات الاجتماعية (Rawls, 2020, pp. 267-275).

قدَّم (نيتشه) مطرقة الهدم لما وقع به الغرب خلال انغماسه في الحداثة المُفرطة، لتظهر عمليات التفكيك والهدم ونظريات ما بعد الحداثة، واعتبره (فوكو) أحد الكبار الثلاثة من مُنتقدي الحداثة في الغرب، وهم: (ماركس، ونيتشه، وفرويد)، فقد استخدمت أوروبا العقل لمدة طويلة، وكانت النتيجة فقدان الإنسان الغربي السيطرة على كلّ شيء عبر الإفراط في العقلنة والذاتية، التي أدّت لشعور الفرد بالاغتراب، وظهور الدعوة إلى ضرورة العودة للبدايات لصون الإنسانية (Stromberg, 1994, p. 394).

وصف (مارتن هايدغر) أهداف الحداثة بالسيطرة والهيمنة والتسلط على كلّ شيء، والتمركز حول الذات للعقل الغربي كوسيلة إقصاءٍ للآخر، فنقد الميتافيزيقا، رغم أنّه من أهم مَن دافع عن السلطة المطلقة للفلسفة، ودعا لتجاوز فكرة التعالي بعد ظهور اهتمامه بالعالم التقني، ووجده موروثًا للميتافيزيقا، واعتبر الفنّ نوعًا من التعبير عن الذات الإنسانية، ووصف تحوّل الإنسان كعبد للآلة على أنّه تناقض مع الحداثة، التي يجب أن تكون مساحة لتطور الفكر والتأمل (Vattimo, 1998, p. 55).

وبحسب (جون كوتنغهام)، فإنّ (ديكارت) أدّى الدور الرئيس في الانتقال من الفلسفة الكلاسيكية عبر فلسفته العقلانية "أنا أفكر إذًا أنا موجود"، والذهاب نحو عصر التحرُّر والتنوير والابتكار، والسعي للوصول للحقيقة لتغيّر فكرة الجيتو وجه العالم (Cottingham,

1997, pp. 47-48). ونظر (هايدغر) للحداثة بشكل عدمي، مُعتبرًا أنّ هدفها الرئيس هو السيطرة والهيمنة؛ من خلال العقل الغربي الحامل للنوايا الخبيثة من حب التسلط والتمركز حول الذات، لينطلق بانتقاده للحداثة من فكرة إقصاء العقل الغربي للآخر؛ أي كان باعتباره لا متناهيًا، وهذا ينعكس بشكل مباشر من الفكر الغربي، لامتداد سيطرة المجتمعات الغربية على العالم بأسره (Al-Miskeeni, 1991, p. 23).

النظرية النقدية (مدرسة فرانكفورت):

تعدّ مدرسة فرانكفورت صاحبة النظرية النقدية، من أهم الاتجاهات الفلسفية المُعاصرة التي قدّمت نقدًا للحداثة، وضمَّت مجموعة مفكرين، على رأسهم (ماكس هوركهايمر، وثيودور أدورنو، وهربرت ماركيز)، الذين انشغلوا بمصير الإنسان الغربي، ونقد العقلانية الأنوارية، والمؤسسات المرتبطة بها والناشئة عنها اقتصاديًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا وثقافيًّا، حيث انتصرت البيروقراطية في ظلّ تحويل الطبيعة لمنتج للسلع، ضمن مشروع التنوير والانعتاق من الأسطورة، ليتحول التنوير لأزمة هيمنة من قبل أحزاب شمولية وأيدولوجية، وعبر تبرير اللامعقولية الداعمة للطبقية، ودفع العقل الأداتي لدعم النظام الاجتماعي القائم، وعليه اعتبروا أنّ مشكلة الحداثة لم تأتِ من خطأ تطبيقها، بل أتت من العقل ذاته المؤدي لها (Ahonberg, 2008, p. 397).

كان لمدرسة فرانكفورت النقدية دورٌ مُهمٌّ في نقد الحداثة؛ من خلال النظر للمجتمع بأنّه مستمرّ في سعيه باختزال الأفراد، بالقيام بدور محدّد لهم من قبل الآخرين، فتعتبر النظرية النقدية السدّ النظري لمواجهة الرأسمالية، ونرى انعكاسات ذلك بشكلٍ مختلف بين فقدان الأمل عند (هوركايمر)، وبين نقد الحداثة وتدمير روح التنوير عبر ربط الفردية بالعقل للوصول للحرية، وبين قلق (ماكس فيبر) الذي انتقد الحداثة، ولكنّه ظلّ حداثيًّا ليبراليًّا متمسكًا بالعقل الأداتي (Touraine, 1997, p. 42).

ففي كتاب "خسوف العقل" قدَّم (هوركايمر) مطلب إحياء القديم الجيّد، عبر صياغة التنوير في صيغة عقل ذاتي وموضوعي، حيث وصف العقل المُسيطر في المجتمع الحديث بأنّه ذاتي وأداتي، لالتقاء مبرراته وتفسيراته بما يخدم الذات ويحافظ عليها، ويؤكد على أنّ الأنساق الفلسفية الكبرى (كأفلاطون وأرسطو) والمثالية الألمانية، قامت على موضوعية العقل؛ بهدف تطوير الفرد، وتطوير اتجاهاته وتوازناته نحو الكليّة وليس العكس، بحيث لا يستثني الذاتية ولكن عبر تحقيق المصالحة بين الخاص والعام (Touraine, 1997, p. 213). أمّا في كتابه "الجدل السلبي" فقد كتب (تيودود أدورنو) حول عدم قدرة الحداثة على تحقيق وعودها، وأنّ وعد الأنوار لم يتحقق، بل انقلب سلبًا لتتحول الحرية إلى استعباد ووسيلة للطغيان؛ بسبب سيطرة العقل الأداتي بوصفه عقلًا قمعيًّا (Boulakhras, 2022, pp. 120-121).

صحَّح (دريدا) الحداثة الغربية ودعا للخروج من العقل الإمبريالي، وانتقد التراث الغربي، ودعا العقل لتقبّل التعددية والتنوع، والابتعاد عن العقل الأحادي، وجاء (جان فرانسوا ليوتار) بمصطلح "ما بعد الحداثة"، ليقرّ بفشل الحداثة واضمحلال الغرب، ضمن ما تواجهه الدول من تحديات مرتبطة بالمجاعات والحروب، ووجد دولًا مُتخلفة ومقهورة، لترتبط الحداثة بالغرب وفقط (Baghoura, 1999, p. 283).

وفي ظلّ النقد المتتالي للحداثة، حاول (هبرماس) تقديم معالجة جديدة في محاولة التعامل مع التشاؤم الذي قامت عليه النظرية النقدية، وبيّن ما اعتبره طريقًا لتصويب الحداثة، والتعامل مع ما ظهر من إشكاليات حولها دعمًا لاستمرار مشروعها التنويري، حيث يعدّ كتابه حول "التحولات البنيوية للفضاء العام"، استجابةً نقدية لما قدَّمه (هوركهايمر وأدورنو) للنظرية النقدية، الذي حاول من خلاله معالجة ما وصفه بمشكلات النظرية النقدية للجيل الأول من مدرسة فرانكفورت، حيث مزج بين أفكار مُتعمقة من التاريخ وعلم الاجتماع والأدب والفلسفة، وسعى لتحديد الجوانب التقدّمية العقلانية للمجتمع الحديث، والتمييز بينها وبين الجوانب الرجعية غير العقلانية، ويقدّم النقد الداخلي، في مقابل النقد الخارجي، وهو مستلهَمٌ من (هيجل وماركس) الذي يهدف إلى المحاججة وكشف الزيف، والمُستند للعقلانية في التعامل مع النزعة الوظيفية عند (بارسونز)، والعقلانية عند (ماكس فيبر) (Abu Al-Nour, H. & Abu Abu Al-Nour, H, 2012, pp. 141).

المبحث الثالث الحداثة عن هبرماس

هبرماس:

ولد (يورغن هبرماس) في العام (1929م) مُنحدرًا من عائلة برجوازية سياسية، حيث بدأ عمله في الأبحاث والنشر في خمسينات القرن الماضي، لينشط في الفلسفة وعلم الاجتماع، وكانت أعماله الأولى ناقدة ذات توجُّه ديمقراطي، وصلت أن اتّهم (هايدغر) المُنحاز للنازية، بأنّه استخدم تاريخ الكينونة لإلغاء فكرة الحرية لكلّ فرد، والمساواة أمام الله، وحرية التصحيح والعقلانية الناتجة عن التطور التكنولوجي والتقني.

ينتمي (هبرماس) للمدرسة النقدية، فهو يؤمن بقيمٍ كونية كـ (كانت)، ويؤمن بأنّ الديمقراطية الدستورية هي الحلّ لتوفير مناخ حرّ نحو تواصل عقلاني، يسعى لتشكيل الإجماع المبني على القبول، والتسامح، والتشاركية، والمواطنة، والاحترام المتبادل، للتعامل مع نتائج العولمة التي حوَّلت العالم إلى مُنتصر ومهزوم، وصلت فيه الخلافات لحدّ العنف والتطرف والإرهاب؛ نتيجة انقطاع التواصل وانعدام المساواة، ليتأجّج الصراع بين كلّ ما هو أخلاقي غربي "المُنتصر"، وروحاني

أصولي "المهزوم" في ثقافة أخرى، ضمن ما يُعرف بالنزعة الاستعمارية والإمبريالية (Wegershaus, 2022, pp. 57-58).

اكتشف (هبرماس) كتاب (لوكاتش) "التاريخ والوعي الطبقي"، فقد استخرج شكل الموضوعية للمجتمعات الرأسمالية، انطلاقًا من تحليل العمل المؤجر، وتحليل العلاقة مع قوى العمل ليحدّد عناصر الوعي المتشيّئ (Habermas, 2020, p. 562)، و"جدل التنوير" (لهوركهايمر وأدورنو)، وتأثّر بماركس انطلاقًا من عدم وصفه ناقدًا للرأسمالية فقط، بل من وصفه لنظرية التشيّؤ من منظور أنثروبولوجي، حتى ظهرت العقلنة الاجتماعية عبر مقاله "جدل العقلانية، عن الفقر الشديد في الإنتاج والاستهلاك "كتصحيح لآثار التقدم التقني ضمن تطور الرأسمالية، وتقدّم ألمانيا اقتصاديًا في تلك الفترة، وحذف أيّ فقرة أو نصّ يمكن أن يشير مباشرة إلى رفض الرأسمالية، على اعتبار أنّ الفكر المضاد عدوّ السعادة والرفاه" (Wegershaus, 2022, pp. 745-753).

أصبح (هبرماس) زميلًا عاملًا في معهد البحث الاجتماعي في العام (1952م)، فتمكن من اكتساب معرفة (أدورنو)، وأن يضعها في سياقات فلسفية جديدة نتيجة التطورات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي رافقت تلك الفترة، حتى ظهرت اهتماماته المنهجية والأكاديمية في نقد العلوم الاجتماعية، ليتوجه نحو فكر ديمقراطي، من خلال النظرية النقدية، وليس التوقف عند البعد اليوتوبي لها، وظهر ذلك جليًّا في دراسته التحول البنيوي في المجال العام البرجوازي، من خلال تحليل هذه التحولات البنيوية والوظيفية، لتكون أطروحته للحصول على الأستاذية، فقد تأثر (هبرماس) بدايةً بمدرسة فرانكفورت النقدية، ثمّ اطّلع على أعمال (سيرل، وأوستين، وفتجشتين)، لينطلق من فلسفة الوعي إلى فلسفة التواصل بعد التعرُّف إلى المنعطف اللغوي والتداول (Wegershaus, 2022, pp. 755-769).

عارض (هبرماس) تحدّيات الفلسفة المتعالية بروح نقدية حديثة تجاه ما أسماه بأمراض العصر، ومنها عدم الاعتراف بالآخر، فرغم انتمائه لمدرسة فرانكفورت، إلا أنّه أكد على أهميّة تداخل المعارف والتخصصات في المجتمع، فجمع فكرة الوضعية والفلسفة التحليلية والتداولية رغم معارضته لها، وبهدف إعادة البناء العقلاني؛ ساهم بإعادة تعريف الفلسفة، وحدّد وظيفتها ودورها في المجتمع، ليكون النقد أداة لتفعيل دور الفرد، وأداة تواصل عبر اللغة التي تكون قائمة على الحوار والتداولات والسجال على المستوى العام، ممّا نتجت عنه مُدوّنة أعماله المتنوعة، مثل: "الخطاب الفلسفي للحداثة"، وجمع أعماله فيما يُعرف بـ "نظرية الفعل التواصلي"، ونشر نصوصه المتعدّدة حول التحولات البنيوية في "الفضاء العام"، ليشكل مشروعه الفلسفي الاجتماعي السياسي بشكلٍ يقوم على العقلانية (Marcello, N. D, pp. 11-12).

الفضاء العام والفعل التواصلي عند هبرماس:

قدَّم (هبرماس) مفهوم "الفضاء العام" ضمن كتابه "التحولات البنيوية للفضاء العام"، حول مشروع الحداثة في المجتمع الغربي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، الذي جاء ضمن تأصيل فكري وفلسفي يشمل مضامين سياسية واجتماعية واقتصادية، في سياق تحليله لمفهوم الرأي العام، وأثر الإعلام في تكوينه، وأثر كلّ ذلك على ما وصفه بتراجع مشاركة الفرد في الحياة السياسية، حيث أكد (هبرماس) على أنّ الفعل الديمقراطي التواصلي لا يمكن أن يحصل على مشروعية حقيقية قائمة على سلطة العقل، إلا فى إطار خطاب نقديّ خالٍ من الإلزامات والقيود السلطوية، وهو فعل مستمرّ من الأنظمة السياسية؛ بهدف السيطرة على الرأي العام وتوجيهه وتحديد مَن يشارك به، كما يرى أنّ الفعل الاتصالي هو المبدأ الرئيس فى المجال العام، وأنّ كلّ المشاكل والنزاعات يتمّ حلها عبر النقاش.

يعتبر (هبرماس) الفضاء العام أصلًا لأنموذج إرساء السياسات الديمقراطية، وأساسًا للقيم الأخلاقية والمعرفية التي تعزز الديمقراطية وتحافظ عليها، وهي المساواة والحرية والعقلانية والحقيقة. ودائمًا كانت أعمال (هبرماس) مختلفة عن أعمال أساتذته بمدرسة فرانكفورت، إذ كان اهتمامه الشديد بالحرية الفردية دومًا مرتبطًا باهتمامه بمصير المؤسسات الديمقراطية، وبآفاق تجديد السياسات الديمقراطية. ومن ثمّ، فهو يُبدي اهتمامًا بالبنية المؤسسية الفعلية للمجتمع الديمقراطي، بنحوٍ أكبر بكثير من (هوركهايمر وأدورنو)، وهو يرى أنّ النظرية النقدية كان يجب أن تدلي بدلوها في أنواع المؤسسات الضرورية لحماية الأفراد من مفاتن التطرّف السياسي، وعمليات النهب التي يقوم بها الاقتصاد الرأسمالي المتنامي سريعًا.

تأثر (هبرماس) بـ (كانت) الذي كان أول من دافع عن الفضاء العام، وجعله شرطًا للمادية التي ظهرت في القرن الثامن عشر، ضمن ما حدّده بالاستقلال الذاتي كطبيعة بشرية، وفيه تصاغ القرارات الأخلاقية الفردية، والتي ترتبط بتجربة الفرد الذهنية، وتنعكس عبر المحادثات والمداولات ضمن مبدأ كوني لكلّ البشر، فلا يكون المتكلم منفصلًا عن محيطه، بل مشاركٌ في القواعد المجتمعة في بيئته ومحيطه (Boulakhras, 2013, pp. 112-114).

وعليه، فقد قدم (هبرماس) فكرة العقلانية، وربطها بالحوار عن طريق النقاش، كفعل تواصلي ديناميكي تحرري لا يقوم على الإكراه (Habermas, 1983, p. 221, 227)، ويعزز سيادة القانون، ويضمن حقوق الأفراد وسيادة قيم العدالة بالمجتمع، ويضمن حقّ الأفراد بالتعبير والمشاركة في الحياة العامة، وصناعة القرار السياسي بالتحديد، مُحدّدًا مفهوم "التحول الهيكلي" للإشارة للتغير البنيوي والوظيفي لحركة المجتمع، وعلاقته بشكل السلطة في المجتمع. فتظهر العلاقة بين الذات الفاعلة وارتباطها بالمجتمع؛ بهدف توضيح الحدود بين الشؤون الفردية والذاتية والشأن الجماعي، الذي ربطه بالتطور

التاريخي لحركة تطور المجتمع والحرية داخل مكوناته. ويسوغ القول إنّ (هيغل) هو أوّل من رفع فكرة ارتباط الحداثة إلى مشكلة فلسفية، ففي نهاية القرن الثامن عشر زادت حدّة الذاتية، وهذا ما وصفه (هيغل) بالمُقلق في ظلّ غياب المثل العليا، ليصبح العالم الجديد هو عالم الحرية الذاتية ضمن وصفه للزمن الجديد، ضمن دلالات الفردانية، وحقّ النقد، واستقلالية الفعل، وفلسفة المثالية ذاتها (Habermas, 2019, pp. 29-30).

عمل (هبرماس) على تحليل الفضاء العمومي المتشكل بين النّخب، أو ما عُرف بالمجتمع البرجوازي في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر؛ لتفحّص الأنموذج الليبرالي المتكوّن فيها، والقائم بشكل رئيس على الدعاية والإعلام والتنميط والتأطير، ضمن أدوات فرض الهيمنة التي تستخدمها السلطة الحاكمة والطبقة المُسيطرة، كما وصفها (ماركس) ضمن سيطرة المادية عبر المؤسسات العامة، وسيطرتها على أدوات الإنتاج، وارتباطها بتطوّر وسائل الإنتاج والتواصل في المجتمع، التي استنتج عبرها أثر علاقات الإنتاج والتواصل، وتحديدًا عبر الصحافة، على تشكيل التحولات الكبرى في المجتمع (Al-Alawi, 2014, p. 10).

ومرَّ فكر (هبرماس) بمراحل ثلاث رئيسة ضمن انشغاله بنظرية المعرفة، ثمّ انتقل إلى مفهوم الحداثة ليهتم مؤخرًا بفلسفة القانون، وعلاقة الأخلاق بالتشريع، والديمقراطية والسياسة في أوروبا (Boradoy, 2013, p. 276)، حيث تقوم نقطة انطلاق (هبرماس) من أنّ الرأسمالية الغربية المتأخرة، وديمقراطية الجماهير ما بعد الصناعية، يجب أن تأخذ متطلبات الفضاء العام بجدية؛ لتستوفي وظائفها السياسية الدستورية الليبرالية (Boradoy, 2013, p. 112).

الأخلاق والتواصل نحو الديمقراطية التداولية عند هبرماس:

يشير (هبرماس) إلى أن الأخلاق (إتيقا) هي: "الجهد النظري المبذول لبلورة المبادئ التي تنظم علاقتنا مع الآخرين، في الوقت الذي تحتفظ فيه الأخلاق بمهمّتها التاريخية البدائية، وهي وضع المبادئ موضع التطبيق والممارسة" (Habermas, 2010, p. 7)، وعليه تكون عملية النقاش، ووجود الأخلاق والتواصل الشفاف، وقواعد الحياد كأساس مُهمّ يجب وضعه ووجوده قبل الحوار البينذاتي الذي ينادي به (هبرماس)، للتعامل مع الذاتية والعقل الأداتي، فكلما كان النقاش أخلاقيًّا وقادرًا على الاستخدام السليم للغة، ازدادات فاعليته وقدرته على تحقيق أهدافه التواصلية.

استمرّ سعي (هبرماس) عبر منتاجاته الفكرية في محاولة الإجابة عن سؤال مركزي حول كيفية تحقيق الاندماج الاجتماعي، وحول إمكانية بناء نظرية مجتمعية تنطلق من مفهوم التواصل، وعبر الاستناد لمرجعيات لغوية، ونظريات فلسفية وسياسية واجتماعية وسيسولوجية؛ للوصول للمجتمع الحداثي وجعله ممكنًا، من خلال الحوار الأخلاقي، والنقاش العام، والتمييز بين العقل الأداتي ذي الطبيعة السلطوية والمُتّسقة مع التطور العلمي والتقني؛ بهدف السيطرة على الطبيعة والعقل التواصلي المستند للفهم والحوار المتبادل، عبر النظرية التواصلية لمصلحة المجتمع الفضلى، عبر إبراز بعده الجمالي والأخلاقي والإنساني (Al-Ashhab, 2006, p. 13).

واعتمد (هبرماس) أدوات سيسيولوجية ونفسية فرويدية، ولغوية تشومسكية، لتحليل المجتمع الصناعي الرأسمالي؛ بهدف تحليل القوى المحرِّكة للعقل، والعلاقة بين العلم والتقنية، وما وصل له الأفراد من حالة اغتراب أو استغلال؛ بهدف فهم تشيُّؤ العقل، والعمل على توحيد الفلسفة والثورة، فكان هذا التوجه من أهم الانتقادات التي وجِّهت للعقلانية التنويرية من طرف روَّاد النظرية النقدية؛ بهدف انتقاد انحرافها لا ذاتها، بل بالتركيز على دور الفلسفة في أهمية مراجعة العقلانية عبر وعي الفرد والوعي التواصلي؛ لمحاربة التفكير ذي البعد الواحد، المستند للعلم والتقنية وفقًا للنظرية الوضعية والفلسفة البراجماتية (Makkawi, 2006, pp. 95-96).

يركز (هبرماس) في فلسفته على البراديغم التواصلي، الذي اقترحه انطلاقًا من فكره الفلسفي ما بعد الميتافيزيقي، الذي يشكل قطيعة مع الفكر الهيغلي، والفلسفات الكبرى المرتبطة بالميتافيزيقا، وهو يسعى لفلسفة تتجاوز الذاتية، وتكتشف البينذاتية نقدًا وتحليلًا، وعليه يكون البديل الفلسفي لإنجاح الحداثة، هو تقديم الحوار والتواصل كبديل فلسفي يقوم على التداول الفكري، يمنح الفكر المعاصر الوسائل الضرورية لاكتشاف العقل عبر الفعل التواصلي (Al-Ashhab, 2007, p. 13).

إذًا، فالحوار هو النقد، والنقد هو حوار مشروط بقواعد ومعايير وقوانين تضمن احترام الآخر، وعليه يدمج هبرماس الفلسفة بالعلوم الاجتماعية، فلا تبقى الفلسفة حبيسة أفكارها النظرية، بل تتجسّد في تحليل الواقع وتفكيكه، ولا يمكن أن يحدث ذلك بعيدًا عن إدخال البعد السيسيولوجي، لتدخل الأفكار إلى الواقع المعيش، وتحقق الفهم والقدرة على التحليل والمعالجة والإضافة (Al-Haidari, 2012, P. 262).

الخاتمة:

دعا عصر التنوير والحداثة إلى سيادة العقل، وتحقيق التحرُّر والعدالة والمساواة، ونشأت مدارس فكرية وفلسفية عديدة للتعامل مع تطور شكل العالم المعارض ومفهوم الحداثة، وعلاقة الفرد بالمجتمع، وعلاقة الفرد بالدولة، وعلاقة الفرد بنظام الحكم، وعلاقة الفرد بذاته، ومع ما شهده العالم من تطورات غاب عنه نجاح النظرية الكانتية، وفي غياب نجاح السلام العالمي، وتراجع الماركسية، وسيطرة القطب الواحد الغربي على السياسة والفكر، ظهرت تيارات فكرية عديدة نقدت الحداثة في ذاتها، وفي دورها، وفي قدرتها على تقديم الرفاه العام للإنسان، وقدرتها على التعميم من الأنموذج الغربي لكلّ دول العالم. فظهرت البنيوية والتفكيكية ومدرسة فرانكفورت النقدية، وقاد العديد من المفكرين ومن أهمهم ماركس عملية نقد الحداثة، والنقد الجذري لمفهوم

الذات والوعي الذاتي، ليحكموا عليها بالفشل والإفلاس، والعمل على نسف المشروع الحداثي نتيجة تجاهلها للروح والميتافيزقا والدّين، واعتمادها الكامل على العقلانية ومركزية الفرد، حتى تبلور في العصر الحديث فكر المفكر الألماني (يورغن هبرماس)، الذي انطلق من مدرسة فرانكفورت النقدية، وتطورت نظريته النقدية لنظرية جديدة تهدف لتحرير الفكر المعاصر، وإيجاد السبل للسير في المشروع الحداثي غير المكتمل، عبر نظريات عدة صاغها (هبرماس) لضمان حرية الفرد، وتعزيز الأنموذج الديمقراطي التداولي الفعَّال عبر الحوار، وتوفير الفضاء العمومي في المجال العام عبر براديغم التواصل.

فعمل (هبرماس) على إعادة الاعتبار للحداثة، والحداثة الغربية بشكل أكثر دقة؛ عبر تقديم العقل التواصلي بديلًا عن العقل الأداتي، ليكون الحوار المبني على الرضا والحرية، أكثر فاعلية من الضغط على الأفراد نحو دعم السائد والمستقرّ القوي لتحقيق الاستقرار، فيكون الإجماع عقلانيًّا وواعيًا وتشاركيًّا للخير العام، ويكون العقل التواصلي غير متمركز على ذاته، بل يكون قادرًا على توسيع إرادته ورغبته ومشاركته إلى المجال العمومي، بما يجعل المبررات العقلية وسيلة للتفاهم والإجماع.

النتائج:

- الديمقراطية هي الأنموذج الأكثر فاعيلة في العصر الحديث، حيث يسعى الجميع لمنحها الشكل الأمثل في العمل والتطبيق، وتعدّ الديمقراطية المفتاح الرئيس لحلّ المشكلات البنيوية في المجتمع، والعلاقة بين الفرد والفرد، والفرد والدولة، فهي الغاية والوسيلة للتحرُّر الفردي والجماعي كما يؤكد (هبرماس).
- التحرُّر هو سيرورة النضج المدني حيث يتمتع من خلاله الأفراد بالثقة والنضج، وحقّ المشاركة السياسية بحريّة ومساواة، ولتتشكل العلاقة بين التحرر والذات بشكل تبادلي، لا بدّ من الارتكاز على الحوار والقدرة على الفعل؛ عبر القدرة أولًا على النقاش والحوار.
- التواصل قائم على التفاهم بين المُتحدثين الفاعلين المستقلين، الذين يستدلون باللغة لإنجاح التواصل كممارسة عقلانية تؤسّس للتداول الديمقراطي، وعليه يجب إعادة البناء للشروط المُعيقة للتواصل على المستويين الفردي والاجتماعي.
- الفلسفة مُجدّدًا أداة حادّة لنقد الواقع المعيش وتقييمه ونقد تشوهاته، فتعمل على تشخيص أمراض العصر، وأخطاء الحداثة، لقدرتها على فتح الطرق للتفكير والتجديد عبر ذاتها؛ لمعالجة القضايا العامة بعدالة، ولضمان استمرار العلم، والحفاظ على فلسفة الحقّ والأخلاق لإنجاح المشروع الحداثي.

التوصيات:

- يشير تتبُّع تطور مفهوم الحداثة وما تبعها من حالة نقدية تشاؤمية، إلى أهميّة ما جاء بفكر (هبرماس) لإنجاح الحداثة، والاستمرار بعملية التنوير والبناء على الحالة النقدية؛ لتعالج الحداثة ذاتها، ولتتحول عبر الفعل التواصلي لمشروع واقعي.
- الفعل التواصلي من عناصر إنجاح الحداثة وتصحيحها؛ عبر إيجاد فضاء عام حرّ يمنح الفرص للديمقراطية التداولية والعدالة لتحقيق غايتها في العالم الحديث والمعاصر.
- أهميّة توفير مناخ عام داعم لحرية الرأي والتعبير؛ عبر توفير المنصَّات والقنوات والأماكن للجلسات العامة، التي تسمح بالحوار التبادلي، الذي يتحقّق عن طريق تبادل الأفراد للحجج والقناعات لضمان رقي وعي الرأي العام؛ بما يؤثّر على عملية اتّخاذ القرار السياسي في الدولة.
- ضرورة استعادة الفلسفة لدورها في العملية السياسية والاجتماعية، كوسيلة تضمن حرية الفكر، بحيث تتمكن من إنقاذ مشروع الحداثة، والبناء على إرث التنوير، بشكل يساعد على انتقال الأنموذج الحداثي والديمقراطي للعالم، والسعي لتأطيره وفقًا لخصوصيّة المجتمعات وأخلاقياتها وتكويناتها الثقافية المُتمايزة.

References:

1. Abu Al-Nour, H. & Abu Al-Nour, H. (2012): *Jurgen Habermas, Ethics and Communication*, Supervised by: Ahmed Abdel Halim Attia, The Philosophical Library, Al-Tanweer for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon.
2. Ahonberg, J. (2008): *Civil Society: The Critical History of the Idea*, Translated by: Ali Hakim Saleh and Hassan Nazim, Arab Organization for Translation, Beirut, 1st edition.
3. Al-Alawi, R. (2014): Public Space from Habermas to Nancy Fraser, *Delta Noon Magazine*, No. 2.
4. Al-Ashhab, M. (2006): *Philosophy and Politics according to Habermas, The Controversy of Modernity, Legitimacy, and Communication in the Space of Democracy*, Political Notebooks Publications, Algeria, 1st edition.
5. Al-Ashhab, M. (2007): Jürgen Habermas and the Bet of Philosophy in the Public Space, *Rahanat Magazine*, Issue 3: Between Modernity and Democracy.
6. Al-Haidari, I. (2012): *Criticism between Modernity and Postmodernism*, Dar Al-Saqi, 1st edition.
7. Al-Miskeeni, F. (1991): Habermas versus Heidegger or How to Talk about Philosophy, *Journal of Contemporary Arab Thought*, National Development Centre, Beirut.
8. Atiyah, A. A. (2010): *Nietzsche and the Roots of Postmodernism*, Dar Al-Farabi, Beirut, 1st edition.
9. Baghoura, Z. (1999): The Present is an Alternative to Modernity, *Journal of Philosophical Issues*, Cairo.

10. Bishara, A. (1996): *A Contribution to Criticism of Civil Society*, Muwatin Publications, Ramallah.
11. Boradoy, G. (2013): Philosophy in the Time of Terror, Dialogues with Jürgen Habermas and Jacques Derrida, Translated by: Khaldoun Al-Nabwani, *Arab Center for Research and Policy Studies*, Doha.
12. Boulakhras, A. (2022): *The Philosophical Project of Jürgen Habermas*, University of Setif, Faculty of Philosophical and Historical Sciences.
13. Challe, E. (1999): " Jürgen Habermas et le fondement communicationnel du droit", *Le* (12) *Philosophoire*, vol. 3, no. 9.
14. Cottingham, J. (1997): *Rationality*, Translated by: Muhammad Munqidh Al-Hashimi, Center for Civilizational Belonging, Tunisia, 1st edition.
15. Cusset, Y. (2001): *Habermas:I'Espoir de la discussion*, Le bien commun, Paris: Ed. Michalon, (11).
16. Ghaly, W. (1997): *The End of Philosophy: A Study in Hegel's Philosophy*, House of Culture, Publishing and Distribution.
17. Giddens, A. (2005): *The Book of Sociology*, Centre for the Study of Arab Unity, Beirut, Translated by: Fayez Al-Sayegh, 1st edition.
18. Habermas, J. (1983): *Critical Debate, Contemporary Social Theory*. (London: Macmilan).
19. Habermas, J. (2010): *The Ethics of Discussion and the Question of Truth*, Translated by: Omar Muhibel, Difference Publications, Algeria, 1st edition.
20. Habermas, J. (1994): "what theories can accomplish" in Jurgen Habermas, The Past as Future, (Lincoln: University of Nebraska Press).
21. Habermas, J. (2019): *The Philosophical Discourse of Modernity*, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, Lattakia, Translated by: Hassan Saqr.
22. Habermas, J. (2020): The Theory of Communicative Action, Volume One, Rationality of Action and Social Rationalization, Translated by: Fathi Al-Miskini, *Arab Center for Research and Policy Studies*, Qatar.
23. Hanafi, H. (1990): *On Contemporary Western Thought*, University Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 4th edition.
24. Harvey, D. (2005): The Postmodern Condition, An Investigation into the Origins of Cultural Change, Translated by: Muhammad Shea, *Center for Arab Unity Studies*, Beirut.
25. Makkawi, A (2006): *Philosophical Experiments*, Sharqiyat Publishing House, 1st edition, Cairo.
26. Marcello, D. (d.): Jürgen Habermas, Rationalization and Democracy, translated by: Ibrahim Boumsahli, *Thought and Criticism Journal*, No. 4.
27. Rekeh, A. (2019): *Democratic legitimacy from contracting to communication, Habermas versus Rawls*.
28. Rawls, J. (2020): Lectures on the History of Political Philosophy, Translated by: Yazan Al-Hajj, *Arab Center for Research and Policy Studies*, Qatar.
29. Stromberg, R. (1994): *The History of Modern European Thought*, Translated by Ahmed Al-Shaibani, Dar Al-Reciter Al-Arabi, Cairo, 3rd edition.
30. Touraine, A. (1997): *Criticism of Modernity*, Translated by: Anwar Moghaith, National Translation Project.
31. Vattimo, G. (1998): *The End of Modernity, Nihilistic and Interpretive Philosophies in Postmodern Culture*, Translated by: Fatima Al-Jayoushi, Ministry of Culture Publications, Damascus.
32. Watfa, A. (2001): Approaches to the Concepts of Modernity and Postmodernism, *Thought and Criticism Magazine, Morocco*, No. 43.
33. Weber, M. (2015): *Economy and Society*, Translated by: Muhammad al-Triki, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 1st edition.
34. Wegershaus, R. (2022): The Frankfurt School, its History, Theoretical Development, and Political Importance, Translated by: Issam Suleiman and Ghanem Hana, *Arab Centre for Research and Policy Studies*, Doha.